برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة الرابعة والعشرون

صديقي المستمع، انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الأصحاح العاشر من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد بدأ في الأصحاح التاسع بمعالجة مشكلة علاقة الله ببني إسرائيل. فأكد أن المختارين منهم فقط، الذين يؤمنون بالمخلص المسيح، يعتبرون من شعب الله. وأن لله مختارين من الأمم واليهود. وأوضح الرسول بولس في الأصحاح العاشر أن غاية الناموس أو هدفه هو المخلص المسيح لكل من يؤمن. ثم أكد حقيقة هامة وهي أن الإنسان يخلص باعترافه بالرب يسوع المسيح، وإيمانه أن الله قد أقامه من الأموات. وكشف الرسول بولس أنه لا يوجد فرق عند الله بين اليهودي والأممي، إذ أن الأمر المهم عنده هو أن يؤمن الإنسان بالمسيح. وبرهن أن اليهود سمعوا عن بشارة الخلاص وفهموها، لكنهم رفضوها بإصرار وعناد. وانتهى الرسول بولس بالتأكيد أن الله بسبب إغاظة بني إسرائيل له حجب وجهه عنهم، وأغارهم بالأمم الوثنيين لكي يقيم له منهم شعبا يعبده.

وهنا يأتي السؤال الهام: هل هذا يعني أن الله رفض بني إسرائيل أو اليهود نهائيا؟ بالحقيقة كان هذا هو السؤال الذي بدأ به الرسول بولس الأصحاح الحادي عشر، وقام بالإجابة عنه خلال هذا الأصحاح. فكشف لنا حقائق هامة توضح لنا موضوع علاقة الله ببني إسرائيل بعد مجيء المخلص المسيح. فقد كتب الرسول بولس قائلا: "**فأقول ألعلّ الله رفض شعبه. حاشا. لأني أنا أيضا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين. لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه.**"

عندما يتساءل الرسول بولس هنا عن رفض الله لليهود، فهو يقصد الرفض النهائي من جهة الخلاص. أي الرفض الذي لا يعود فيه الله يخلّص أي فرد من هذا الشعب، والذي كان في العهد القديم شعب الله. ويجيب الرسول بولس عن هذا التساؤل بالقول حاشا أي كلا ، فالله لم يرفض شعبه القديم. والبرهان الأول لأن الرسول بولس نفسه إسرائيلي من نسل إبراهيم بالجسد، ومن سبط أو عشيرة بنيامين. فكون الرسول بولس يهوديا، لم يمنع الله من التعامل معه لكي يؤمن بالمخلص المسيح ويصبح مسيحيا. كما لم يمنعه من اختياره له ليكون رسولا للأمم وكارزا ببشارة الإنجيل بكل حماس ونشاط. أي أن إيمان الرسول بولس بالمخلص المسيح يؤكد أن الله مازال يتعامل مع هذا الشعب.

وقدّم لنا الرسول بولس برهانا آخر ليوضح لنا هذه الحقيقة. وكعادته اقتبس من كتاب العهد القديم، فكتب في العددين الثاني والثالث قائلا: "**أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب في إيليا كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا يا رب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي." (١ملوك١٩:١٠) لقد ظنّ النبي إيليا قديما عندما كان فارّاً من وجه ملك إسرائيل آخاب، أنه الوحيد الذي يعبد الله بالحق، وأن الشعب كله قد ضلّ. والدليل على ذلك أنهم قتلوا أنبياء الله وهدموا مذابحه.

وتابع الرسول بولس اقتباسه من العهد القديم في العدد الرابع فكتب قائلا: "**لكن ماذا يقول الوحي. أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل.**" (١ملوك١٩:١٨) أعلن الله للنبي إيليا إذن أنه مخطئ في تقديراته، إذ مازال هناك في إسرائيل سبعة آلاف رجل لم يسجدوا لإله الوثن بعل، وأنهم بالتالي يعبدون الله. أي كانت هناك مجموعة من الشعب تؤمن بالله الحقيقي.

ولكي يوضح لنا الرسول بولس الهدف الذي من أجله اقتبس هذا المقطع من العهد القديم. أضاف في العدد الخامس قائلا: "**فكذلك في الزمان الحاضر أيضا قد حصلت بقيّة حسب اختيار النعمة.**" فكما كانت هناك قديما مجموعة أو بقية من الشعب تؤمن بالله وتعبده، هكذا وُجد في الزمان الحاضر أي في زمن الرسول بولس، بقيّة من اليهود قبلت خلاص الله، وآمنت بالمخلص المسيح. ولنلاحظ أن هذه البقية المؤمنة بالمسيح من اليهود اختارها الله حسب نعمته.

وهنا يعود الرسول بولس إلى الحجة الأولى، التي بدأ بها نقاشه لموضوع علاقة الله ببني إسرائيل في الأصحاح التاسع. وهي أن ليس كل يهودي من نسل إبراهيم يعتبر من شعب الله، بل المختارون منهم فقط، الذين يؤمنون بالمخلص المسيح يصبحون من شعب الله. وهذا بدوره يبرهن أن الله لم يرفض هذا الشعب نهائيا إذ له بقية مختارة منهم. ومن المعروف أن عددا لا بأس به من اليهود في العصر المسيحي الأول آمن بالمخلص المسيح. لا بل إن كنيسة المسيح الأولى تأسست على يد تلاميذ المسيح وهم كلهم من اليهود. وكانت الكنيسة الأولى إلى فترة زمنية قصيرة، تقتصر على المؤمنين اليهود فقط.

ويتضح لنا أيضا من هذا العدد الأخير أن الله تعامل مع البقية المختارة من اليهود كما تنبأ الأنبياء قديما. وليس كما يقول البعض أن هذه البقية التقيّة ستوجد في المستقبل، في فترة زمنية منفصلة لا تكون فيها الكنيسة على الأرض، حيث يتعامل فيها الله وبشكل مباشر مع اليهود فقط.

لكن على أي أساس يقوم اختيار الله؟ أجاب الرسول بولس في العدد السادس قائلا:" **فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال. وإلا فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة. وإلا فالعمل لا يكون بعد عملا.**" يكرر هنا الرسول بولس ما سبق أن شرحه في الأصحاحات السابقة عن مفهوم النعمة. فالنعمة لكي تكون نعمة أو عطية مجانية تقدم لي، يجب أن لا يكون لها علاقة بأي عمل أو جهد أقوم به. والعكس صحيح أيضا، أي أن الأعمال تُبطل النعمة. فأن أقوم بأي عمل، فهذا يعني أنني لا أريد النعمة أو العطيّة المجانية، بل أريد أن أدفع الثمن من خلال أعمالي وجهودي، وإلا أصبحت أعمالي لا فائدة منها. أراد الرسول

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

بولس القول أن خلاص الله هو نعمة أي عطية مجانية يقدمها الله للإنسان. ولا يستطيع بالتالي الإنسان أن يدفع ثمنها ومهما قام به من أعمال عظيمة لإرضاء الله، إذ عليه أن يؤمن فقط. إذن إن اختيار الله يقوم على أساس نعمته، وليس على أساس حفظ الشريعة أو الأعمال الصالحة.

ولهذا تابع الرسول بولس قائلا في العدد السابع: "**فماذا. ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله. ولكن المختارون نالوه. وأما الباقون فتقسوا.**" كان اليهود دائما يريدون أن يرضوا الله عن طريق حفظهم للناموس. فكانت النتيجة أنهم لم يحصلوا على خلاص الله. لكن نعمة الله أعطيت للمختارين منهم الذين آمنوا بالمخلص المسيح، فنالوا هذا الخلاص المجيد. أما الباقون من بني إسرائيل فقد تقسوا. وهم الغالبية الذين رفضوا خلاص الله، فقسّى الله قلوبهم نتيجة لذلك، أي فقدوا الإحساس بالأمور الروحية.

وهنا دعم الرسول بولس حجته بأن اقتبس كعادته من العهد القديم. فكتب في العدد الثامن من هذا الأصحاح قائلا: "**كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيونا حتى لا يبصروا وآذانا حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم.**" سبق لأسفار العهد القديم في تثنية وإشعياء (إشعياء٦:٩-١٣) أن تنبأت عن رفض اليهود لخلاص الله. وكيف أن الله نتيجة لذلك سيعطيهم روح سبات، أي روح نوم عميق. ويغلق عيونهم حتى لا يبصروا خلاص الله في المخلص المسيح. وأيضا يصم آذانهم حتى لا يسمعوا عن هذا الخلاص أو يدركوا حقيقة أبعاده. وسبق للمخلص المسيح أن اقتبس من سفر النبي إشعياء هذه الآيات، معلنا عن دينونة الله لهذا الشعب، بسبب رفضهم الإيمان به.

ثم اقتبس الرسول بولس في العددين التاسع والعاشر ما كتبه النبي داود في سفر المزامير فقال: "**وداود يقول لتصر مائدتهم فخا وقنصا وعثرة ومجازاة لهم. لتظلم أعينهم كي لا يبصروا ولتحن ظهورهم في كل حين.**" (مزمور٦٩:٢٢-٢٣) إنه حقا تشبيه بليغ. إذ تصور هذه الآية هؤلاء الناس الذين يظنون أنهم في أمان، لكن فجأة يجيء عليهم الخراب. فاليهود الذين ظنوا أنهم في مأمن من غضب الله لأنهم شعب الله، اكتشفوا فجأة أنهم هالكون. وهكذا تعثّروا في الظلام، وأظلمت أعينهم فلم يعودوا يروا شيئا. وانحنت ظهورهم، إذ فقدوا رجائهم وأساس اتكالهم، وأصبحوا في حالة لا يحسدون عليها. وظهرت دينونتهم واضحة للجميع.

صديقي المستمع، يبدو واضحا أنه لا الحسب ولا النسب، ولا الانتماء إلى شعب معين، أو حتى دين معين، ولا الأعمال الصالحة، كل هذه الأشياء لا تقدر أن تقرِّبنا من الله خالقنا. لكن كما سمعنا اليوم فإن الله يقبلنا ويغدق علينا بنعمته، إذا أتينا إليه بإيمان قلبي صادق بشخص المخلص يسوع المسيح. وعندها يغفر خطايانا ويجعلنا من أولاده وشعبه. فهل ترانا نقبل عطية الله المقدمة لنا مجانا؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service